الفصل العاشر

القلق الجالب للحضارة

"إن المتاهة هي موطن من يتردد"

والتر بنيامين

"إن الإحباط الغربي يتمنع عن اليأس كما يتمنع على الأمل"

ريمون آرون

إن عذاب الغربيين الحقيقي يتمثل في هذا الوعد الذي لم يتحقق ولن يتحقق: وهو الرهان على أن التقدم اللامحدود في المعارف والتبادلات سيواكبه نمو أخلاقي للإنسان واعتراف متبادل بين بني البشر.

فهذا الإحباط مقدر في المشروع نفسه لما ينطبع به من غلو وإفراط في مراده توفير أنعم العيش لكافة البشر ورفع الإنسانية كما هي إلى أعلى القمم؛ حيث لا مجال للمقارنة بينها وبين حقب التاريخ الماضية.

إنه نمط من سراب الإمكانات المثير للدوار، وخيبة النتائج التي تظل دوماً دون التطلعات.

فإذا كان المرء لا يكون حديثاً إلا بعجزه الواضح عن اتخاذ موقف إزاء مصيره، فإن الديمقراطية عندئذ ستتحول إلى نظام الشكوى المرخصة: تغذي رغبة لا يمكن أن ترضيها، وتؤجج مشاعر التلهف، وتضفي الشرعية على أكثر الأسواق جنوناً.

فما يقلقنا هو الثروات التي لم نتحصل بعد عليها، والحقوق التي لم نكتسبها.

فما هو موجود لا يكون أبداً كافياً، والكثير لا يزال جد قليل.

لقد هزم الكثير من الشرور وأبطل الكثير من المظالم: ومن الغريب أن كل هذه الشرور والمظالم لم تقوض حالاً. وقد انضافت إلى الكوارث التقليدية كارثة عدم القدرة على التغلب بالكامل على الشقاء.

فما كنا نعتقد أننا تغلبنا عليه لا يزال مستمراً في سحقنا وازدرائنا، في حين تبرز مآس جديدة: فلا نحن نمر من الظلمات إلى النور، بل لا نعمل سوى إعادة توزيع الظلمات والنور بطريقة مغايرة.

لقد نجحنا في "تضييق المسافة بين المثال والواقع بتحويلها إلى مسافة غير مقبولة" (ماركس)، وتلك حالة يمكن أن تدفع إما إلى الفعل الإصلاحي أو الإدانة العقيمة.

فالحضارة تخلق من المآسي بقدر ما تحد منها: ليس فقط لكونها ترهق كاهلنا بنظمها، وإنما بتحويلها الرفاهية إلى معيار نموذجي، وبذا تحد من الهامش المتاح للاختلاف.

فالحضارة محبطة، ليس لأنها فشلت، بل لكونها نجحت أكثر من اللازم: ليس الأمر إلا هكذا !

قد يكون التاريخ انتهى، كما توهم البشر دوماً. ولكن ما هي فائدة هذا المفهوم الذي يسكن الفلاسفة منذ هيغل إذا كان لا يعيننا على العيش بطريقة أفضل؟

بروميشوس منهك:

لقد أصبح التقدم منذ الآن موضوع تقديس غامض: فهو وضع قائم أكثر من كونه وعداً آتياً، إنه سمة مجتمع يدار آلياً،

يقذف مهما كان الأمر ما هو مقدر له من إبداعات في شتى الميادين.

أما النزعة التقدمية، أي الإيمان بفضائل المستقبل، فتنطلق في آن واحد من مفهوم للصراع ونمط من المعاينة، فهي خليط من النزوع اللاإرادي والتبعية الجبرية.

فمن هو الذي لا يكون تقدمياً بهذا المعنى، حتى لو كان من اليمين أو من صفوف هؤلاء الذين ندعوهم بالمحافظين؟

وهكذا ينوه مثلاً أرنست أنتوان سيلير بفرنسا التي تتطور، أي فرنسا رجال الأعمال في مقابل فرنسا الجامدة، أي فرنسا النقابات والموظفين وغيرهم من "الطفيليين".

إننا ننساق وراء الحركة من أجل الحركة، التي يدعوها تاغيف بالنزعة التنقلية، بحيث إن هذه الحركة غدت شيئاً فشيئاً أقرب في تسارعها اللانهائي إلى الثبات المدمر.

فبدلاً من أن نسير بخطى سريعة في مدارج المستقبل نرزح تحت وطأة حركة جامدة شرسة.

وكما قال كانط: "سيظل دوماً من المحير أن الأجيال السابقة تكرس كل همها لتحقيق مصلحة الأجيال اللاحقة، بحيث إن الأجيال الأخيرة وحدها ستحصل على السعادة المترتبة على السكن في الصرح المكتمل".

ولكن الماء ملوث داخل هذا الصرح، والهواء غير مؤهل للاستنشاق، والطبيعة محطمة، والمواليد الجدد يلعنون آباءهم على توريثهم تلك الهدية المسمومة.

وبعبارة أخرى بما أننا روضنا الطبيعة بقدر ما دمرناها، فقد أصبحنا نقاسمها المسؤولية: فمصيرها يلتبس بمصيرنا، وسيطرتنا عليها تجعل منا أسرى فضلها، وهو دين نؤديه على شكل نمط من السلب لا حد له.

وكما يقول المثل الهندي: "إننا لا نرث أرض آبائنا وإنما نعيرها لأبنائنا".

بيد أن المشكل يتعقد لكون أدوات هيمنتنا على الطبيعة غدت أدوات لهيمنة الطبيعة علينا: وهو مسار لا يمكننا إيقافه، وإنما كبحه ورقابته على أقصى تقدير. فعندما ترتكز سلطة خارقة غير مسبوقة في يد الإنسان عندئذ يلازمها العجز عن تقويض مثل هذه السلطة.

فنحن على سبيل المثال: نستخدم كل يوم آلات أذكى منا ألف مرة (من يمكنه أن يفسر نمط اشتغال جهاز تلفزيون أو خلية السلسيوم).

وماذا نقول في أداة مثل شبكة النت التي هي موسوعة هائلة تجاوزت بما لا حد له إمكاناتنا الاستيعابية: فقد تكون وسيلة مذهلة للمعرفة، ولكنها أيضاً هوة يمكن أن نضيع فيها، تتحدى بصيرتنا بتعقدها.

لقد قال روبير كالاسو: "إن الديمقراطية هي تعميم امتياز الحصول على أشياء لم تعد موجودة". ويا لها من حقيقة قاسية!

فالامتياز إذا اشترك فيه كثير من الناس أصبح عقوبة. فإذا سافر الجميع في الوقت نفسه، عن طريق السيارة أو القطار أو الطائرة، لم يعد بمقدور أحد أن يتنقل.

فالحرية الشاملة تفضي إلى شلل عام، كما أن نشوة السرعة تؤدي إلى تجمد التدفقات، ازدحام رهيب وملايين الساعات المضاعة.

ثمة نمط من الخيرات (البحر والجبل والسفر والمنتجعات الريفية) ميزتها الأساس أنها خاصة بعدد محدود من البشر. وإن هي فتحت للعموم، ضاعت وتدمرت. (كما هو حال هذه الرسوم الصخرية المنحوتة على جدران الكهوف التي منعت على العموم حفاظا عليها من التحلل).

إننا لا نعيش في عصر النفاذ وإنما في عصر الاختناق: فمباهج العالم لم تكن موجودة إلا لكونها نادرة وعصية على التناول؛ وعندما تفتح للجميع يقع تدنيسها.

من قبل كانت تسعى الجمهورية إلى توفير مزايا الأرستقراطية إلى الشعب، ورفع الإنسان المتوسط إلى مستوى من كان ينظر إليهم في الماضي كعلية القوم.

ولكن فضلاً عن أن هذه التوطئة الديمقراطية قد دحرجت

الأعلى إلى الأسفل أكثر من رفعها الأسفل، فإنها حولت هذه المزايا الموزعة على الجمهور إلى لعنة جماعية.

ويا له من تحد رهيب للعقل: تتعين إعادة التفكير في صلوحية نمط إنتاج ونمط حياة قد تنجم عن تعميمه إلى المعمورة بكاملها كارثة مناخية وبيئوية.

فلنتخيل فقط إن كان منزل في الهند أو الصين يقتني ثلاث سيارات كما هو الحال في الولايات المتحدة! فالثروات الوحيدة التي لا تنفذ والتي تتضاعف بمجرد انتشارها هي تجارة الأفكار والعلم، والتعلق بالمعرفة، وأعمال التخيل وفنون العيش والفنون إجمالاً، وهي في الغالب ثروات لا ثمن لها.

والصعوبة القائمة هي أنه ليس ثمة تقدم واحد وإنما أنماط متعددة من التقدم، محصورة المواقع، تتخذ سمة المفارقات لأنها تنتج التقهقر والمصائب الكبرى (مثل: جنون البقر، والأمينت والدم الملوث)، انفجارات مفاجئة وحوادث غير مفهومة، كوارث متلاحقة: لقد أصبح (من غير المحتمل) هو اليقين الوحيد الذي نمتلكه.

ففي مجتمعاتنا ذات الهشاشة الشديدة، كل شيء ممكن خصوصاً أسوأ الأشياء. الخطر في كل موضع. تلك هي الحكمة التي لا سحر فيها في مطلع هذا القرن: فنحن نعرف أن ما نحرزه من ضروب تقدم ندفع ثمنه من تراجعات مخيفة، فكل موقع نغزوه هو أرض ضائعة، وكل إظهار للقوة هو إقرار بالضعف. فالإنسانية تسير بصفة متلازمة وبالخطا نفسها في اتجاه الأفضل والأسوأ.

ويمكن أن نورد بخصوص التقدم شعار فرقة البلوز المشهور "لقد انتهى الارتعاش" The thrill is gone: انتهى الإحساس، لم نعد نهتز طرباً لأبسط اكتشاف جديد"، ولم نعد مستعدين لدفع الثمن.

فما يهمنا هو الحفاظ على الموجود واحترام كل مخلوق وكل نظام بيئوي بصفة لا تقل إن لم تزد على اهتمامنا بالجديد.

ومع ذلك سيكون من الغلط أن نعتقد أن إيماننا بمقولة التقدم قد انتهى أو قبر: فنحن مؤمنون دون أوهام يطمحون إلى تقدم نتحكم فيه.

بيد أن انجلاء الغشاوة لا يعني اليأس: ومن هنا فإن مقولة "انكشاف أوهام التقدم" التي راجت ليست سوى مقولة رومانسية خالصة ولم تفض بأحد إلى رفض الكهرباء أو الرجوع إلى عربة الخيل.

فكل من أجريت له يوماً عملية جراحية ناجحة، أو أنقذ مضاد حيوي حياته، يعرف ما تعنيه عبارة تقدم وليس بحاجة إلى مصنفات ثقيلة نشرحها له.

أنبياء العالم السبرنتيقي وشهداؤه:

في هذا المجال، يتعلق الأمر بتسارع الإقبال والنفور: تتقلص الدورات ولكن كثافتها لا تنقص.

لاحظو الهيجان الذي تستثيره الإنترنت: من جهة اليقين الخلاصي بأن الشبكة ستنقذ العالم، وستضع التراث الكوني في

متناول الجميع، وستنمي تعليم أكثر الناس احتياجاً، وستوطد التضامن والتسامح، وتقضي على التفاوت[149]؛ ومن جهة أخرى، اليقين الذي لا يقل فظاظة بأن هذه الأداة ستؤدي بالإنسانية إلى حفر قبرها بنفسها، وستفضي إلى القضاء على الزمان والمكان، وإلى الانغلاق بدلاً من الانفتاح؛ لأن مستخدميها يتجمعون في طوائف وقبائل، وفق خصائص متناغمة مشتركة.

عقيدة خلاصية جديدة في مقابل نزعة استبدادية جديدة: وهكذا وصل الصراع بين القدماء والمحدثين إلى أوجه.

ثم يتدحرج بهدوء هذا التحمس من أعلى تلك القمة الخاصة حيث يتقابل الجيشان إلى شعور بالتشبع.

وفي حين يحتفل حملة البخور بالأرض الموعودة الجديدة ويتوعد المتنبئون بعذابات القيامة، بدأ بعضهم بالابتعاد.

فالجديد تحول رويداً إلى شكل التافه المبتذل.

وبما أننا بالغنا في الحماس من قبل، أصبحنا نخفف من غلوائنا، فالموضوع الذي طال انتظاره اختلط بسلة الأشياء الاعتيادية.

فبعد النشوة والجزع، تضاعف عدد النافرين من الجنة الإلكترونية؛ لأن الانترنت ليس أبداً سوى "مزيج بين الكتابة (التي تعود لست آلاف سنة) وأدوات اتصال ترجع لقرنين" (ميشيل مارسيولا)[150].

وحسب علمنا إلى حد اللحظة على الأقل لم يحطم النص الإلكتروني الكتاب، ولم تقوض التجارة الإلكترونية التجارة العادية[151]. وكما أن مجموعات التحاور عبر الانترنت لم تنه مشكل العزلة (ابتكر فيلسوف العلوم دومنيك لكور عبارة "Cybérie" لوصف حالة هؤلاء المتشبثين بالشبكة الذين يكثفون اللقاء من أجل الإفلات من التماس الجسدي مع الناس)[152].

ولا يقلل هذا من الطابع العبقري للانترنت ولا من صيغ الاتصال غير المسبوقة التي توفرها.

لقد فتحت كوة في عالمنا المغلق، هي كوة العوالم الافتراضية، وإعادة اكتشاف واقع جديد، وأحيت يطوبيا المدينة الكونية، حيث يلتقي الناس كلهم في ساحة واحدة ويتحصلون على الحقوق نفسها.

إنها تحتفظ من اليطوبيا بسمتها المزدوجة وتتأرجح ما بين إرادة توليد الحاضر من دائرة احتمالاته والطموح شبه الكلياني إلى إعادة خلق إنسان جديد بالقدح في التاريخ القديم.

لا يوجد إبداع لا ينشأ في الخوف والنشوة، كما يبين الخيال العلمي.

فكل اكتشاف يؤجج إيماناً و رعباً لا حدود لهما - فآلة البخار والسكة الحديدية ولدتا في عصرهما المدح والهجاء - إلى أن يستولي إبداع آخر على العقول، فيخفف شيئاً فشيئاً أمواج الحماس والخوف التي تركها الاكتشاف السابق.

ولكننا لم نر أبداً تقنية تعوض الفعل، وتوطد الرباط الاجتماعي أو تقلص اللامساواة.

وكما أن جهاز الكمبيوتر في الستينيات لم يفلح فيما ادعاه له جان جاك سرفان شريبر من قدرة على إنقاذ العالم الثالث برفعه مباشرة إلى المرحلة ما بعد الصناعية، فإن الإنترنت لن تخرج "البلدان الصاعدة" من الفقر.

فلكي يحدث تقدم، لا بد من قرار سياسي، وعملية قطيعة، ومن أن تستحوذ الدول المعنية باختيارها على اكتشاف معين، مثل أنماط جديدة من العلاج الطبي، أو أنواع من الأرز والأشجار المهجنة، لوضعها في مصلحة نموها، مثلما فعلت البرازيل والهند وإفريقيا الجنوبية.

إن النت لم تقل كلمتها الأخيرة، ويمكن الجزم بأنها ستوفر لنا عجائب أخرى.

ولكن من السذاجة القريبة من البلاهة أن نتوقع منها أن تنسج أسرة إنسانية واحدة بواسطة الشبكات، حسب استعارة ماك لوهان.

فبالنسبة لبعض حواريي "الأمة الرقمية" كل من يعترض على مشاريعهم ينعت بالظلامية ويرمى بأنه دياصور.

فأبسط استدراك يعتبر ردة، ولا مجال إلا للتقديس، وهكذا تصل هستيريا الجديد التي يعود تقليدها لمنتصف القرن التاسع عشر إلى القمم لدى هؤلاء.

إنهم يتخلصون من الرصانة والوقار في إرادتهم التشبث بالحدث أو حتى تخطيه.

فنحن إذا لم نفقد الإيمان بالتقدم، بل نحتاط منه، ومن تغزل مروجيه. نلتفت عنه، مثلما نتخلى عن علاقة لم تعد تثير أي غرابة ولكن من أجل العودة إليه بسرعة عندما يبرز في الأفق سراب جديد.

فأفضل علاج لعيوبه، هو تقدم آخر يصلح من آثار التقدم السابق، تقدم نتصوره في شكل ائتلاف مع العالم، يكون في مصلحة الحفاظ عليه وليس التحكم فيه.

فبعد إنسان المسيحية الخاضع، وإنسان الحداثة المتغطرس، ها هو الإنسان المرتبك الذي هو إنسان القرن الجديد.

التقارب غير المحتمل:

لقد تفطنا الآن إلى أنه إذا كانت الهوة بين الشمال والجنوب لن تسد يوماً، فإن إعادة التوزيع العادل لثمار النمو لن تحدث، أحرى أن يتحقق لأغلبية سكان العالم مستوى من العيش الرغد.

فالثورة الصناعية وإن خلصت بعض اللأمم من قبضة أمم أخرى، إلا أنها حفرت خندقاً ما بين المالكين والمعدمين.

فعندما نعرف أن الفارق بين سويسرا والمزمبيق يقارب 400 لواحد (كان 5 لواحد عام 1800)[153]، لا نرى بوضوح كيف يمكن

تدارك هذا "التأخر". إن ما لم يتحقق منذ قرنين، على الرغم من الظروف الملائمة، لن يحدث غداً، في الوقت الذي تتضاعف الكوارث التي سببها النمو، وتتقلص الموارد الحيوية (الطاقة والهواء والمياه) فالمغامرة الاقتصادية ستظل درباً محفوفاً بالإثارة لأجيال عديدة، سيتواصل انبناء الثروات، وستدفع مسارات مذهلة الأكثر فقراً إلى أعلى قمة، وسيصل بعض المشهورين غير المعروفين بين عشية وضحاها إلى رأس إحدى الإمبراطوريات بفضل مواهبهم. ستنهار أمم مزدهرة، وتبرز دول صغيرة ديناميكية. ولكن مهما حدث من تدافع، وصعود مدهش للبعض وتراجع لبعضها الآخر، لا بد من منتصرين ومهزومين في المأدبة الكبرى للرأسمالية.

بعض الأمم العملاقة ستنجو بسهولة بفضل عبقريتها ووزنها الخاص، كما هو شأن الهند وروسيا والصين. ولكن الأمم التي فاتها قطار التنمية ليس لها كبير أمل في الإقلاع، في مرحلة يغوص الكثير من الدول الإفريقية والآسيوية في الدائرة الانتحارية، عبر مسار تدمير منتظم للذات.

قد تحدث بعض التحسينات، وقد يصبح الفقراء أقل فقراً، ولكنهم سيزدادون عدداً.

إنها نهاية أسطورة "الجاكبوت" (JackPot)، أي أسطورة مطر الذهب الذي سيروي البشرية بكاملها: فمهما فعلنا سيظل هناك منبوذون ومغيبون.

لقد انحسر حلم المساواة الجميل، وابتعد حلم الجنة الأرضية الكونية.

فما يهدد في أيامنا الأمم في الجنوب ليس الرأسمالية الجديدة بقدر ما هو في أيامنا الإهمال المحض والتام.

فما دامت نسبة 70 بالمئة من التجارة الدولية تتم بين أوروبا واليابان والولايات المتحدة، فإن البلدان الغنية تقلصت شيئاً فشيئاً حاجتها للفقراء من أجل الاغتناء: وما دامت هذه الدول لا تهددها، فإنها لن تعبأ بتنميتها.

ذلك أن استغلال الإنسان للإنسان يفترض على الأقل صلة انتماء قوية بين رب العمل والعاملين معه، ويرسم مجالا للنزاعات، وبالتالي للمصالح المشتركة.

من الآن فصاعداً استبدلت مصيبة استغلال الإنسان للإنسان بمصيبة أشد هي أن يصبح المرء غير قابل حتى لأن يستغل.

فالمريع بالنسبة للعديد من الفئات الاجتماعية وكذلك بالنسبة للعديد من الدول ليس الاستغلال وإنما الإهمال.

لم يثبت أبداً بالبرهان أن ثراء الشمال ناجم عن نهب الجنوب: صحيح أن النهب موجود، ولكنه لم يؤد أبداً إلى اغتناء أحد، والدليل هو إسبانيا الإمبراطورية.

فرفاهية الشمال لا تعود إلا لعقلية سكانه وعملهم، ولهذه الديانة المتمثلة في تحويل الطبيعة وشهوة الربح التي تفرقت على بعض القارات.

أما غير المقبول فهو تجاور غرب متخم وأمم جائعة موعودة بالولوج السريع للجنة الرأسمالية بشرط الانقياد لبعض القواعد.

بيد أن وراء هذا الخطاب الكوني، يقبع منطق المحاباة والخسارة، فالأفراد نفسهم سيستمرون في انتزاع حصة الأسد، في حين سيبقى على الأعراف مليارات البشر على الوضع نفسه الذي أضيف عليه طلاء خفي.

إن مركز ثقل الاقتصاد العالمي ليس جاهزاً للانتقال.

كيف يمكن التحول إلى مائدة الأغنياء إذا كان الأمر يتعلق بشعب صغير؟ يكون ذلك عن طريق إصلاح داخلي عميق قبل كل شيء، لأنه ليس ثمة دولة غير مسؤولة عن مصيرها.

ولكن ذلك يتطلب أيضاً رفض الانصياع الأعمى للإنجيل العالمي الجديد: الخصخصة ورفع الحواجز والليبرالية الشاملة. ولا بد على الأخص من الاحتفاظ بسلطة انتقام في حالة الهجران الخارجي، أي لا بد من معرفة كيف تصبح ضرورياً لا غنى عنك.

فما أتعس أولئك الذين ليس بحوزتهم عقوبة إستراتيجية أو اقتصادية ضد عظماء اليوم: ولقد مرت الأرجنتين بهذه التجربة الفظيعة.

ولهذا السبب كان من السذاجة انتظار سيادة السلام والإخاء من جديد. فلا يزال الابتزاز والتهديدات والتخويف مسيطرين، وليس ثمة انسجام زمني بين الإنسانيات المختلفة التي تتقاسم هذه المعمورة ولا نحن نعيش في العصور نفسها. بيد أننا جميعاً متعاصرون في الضغينة والحسد بفضل التقانة والاتصال.

لقد قلبت البلدان الغنية قواعد اللعبة وخلقت مسافة جائرة مع بقية العالم: ولن ينتهي الحقد عليها عاجلاً، فثمة ثمن لا بد من تأديته للوصول إلى القمة.

حكمة الزهد:

كتب سيغموند فرويد عام 1929 تحت صدمة مذابح 1914 حول "قلق الحضارة" من منظور كونه صراعاً لا رحمة فيه بين فرد متمرد على كل سلطة والقيود التي يفرضها عليه المجتمع. واستنتج من هذا الوصف عدم قدرة الإنسان على الوصول إلى السعادة، وكذلك عدم قدرته على التأقلم مع الحياة الجماعية القمعية دوماً: فالحرب بين ذات ثائرة وأنا أعلى مشعر بالذنب لانهاية لها.

وربما كان علينا أن نمنح عنوان كتاب فرويد دلالة إيجابية، والجزم بأن القلق هو وحده الذي يجلب الحضارة، وهو وحده الذي يولد مواقف متناقضة لكنها نافعة.

فهو أفضل طريقة لمحاسبة النفس، وتنقية القلب (فالسخرية من النفس هي آخر مسلك نبيل لدى الطبقات المتوسطة، التي تتعرض دوماً للتفاهة والابتذال).

ومن ثم فإن للنقد اللامحدود الذي توجهه الحداثة لنفسها اتجاهين: اتجاه يقظة يحول دون الانجراف في الغبطة الساذجة، واتجاه فظاظة يؤول في الغالب إلى الكراهية للذات.

ولقد تعين على رجال اللاهوت خلال تاريخ الكنيسة الكاثوليكية الطويل أن يحاربوا عقبتين كلتاهما ضارة: النفور من الأرض والإفراط في الشهوات الدنيوية.

ففي مقابل هاتين الطريقتين المسدودتين طرحوا بالاستناد إلى الطبيعة المزدوجة للمسيح علاقة مجاهدة ضرورية: فهذه الحياة الإنسانية بائسة وممتعة في آن واحد، ذلك أنها تمثل المرحلة الأولى من الحياة الأزلية.

فعلى المؤمن أن يكون داخل العالم وخارج العالم، وعليه أن يوجه سلوكه في هذه الدنيا بحسب قيم العالم الآخر. ويمكننا أن نصوغ هذا المبدأ المؤسس بطريقة علمانية: بأن نبتعد عن التفاؤل والتشاؤم معاً، وأن نرفض فكرة الحل المثالي لمآسي الإنسان كما نرفض المرارة والأسى (لوزك كولاوسكي).

فما بين اليأس والاقتناع الأعمى، ثمة طريق آخر هو مسلك التشكك النشط الذي يمكننا من معرفة حدودنا بتواضع دون نبذ

إرادة الإصلاح على الرغم من هذه الحدود. إن كل إنسان يتكلم اليوم لغتي الحماس والحذر، ولن يأتي اليوم القريب الذي تتخلص فيه نجاحاتنا الأكثر جلاء من الشك القاتل.

فليس من حقنا تمجيد ثقافتنا كما هي بغباء؛ لأن أوروبا عرفت في حقب عديدة من تاريخها الخزي والرعب؛ ولأن الهوة لم تفتأ تتعمق بين مبادئنا ومجرى الواقع.

ولكن يجب علينا أن نشك في التشكك، وأن نتجنب صداع القدح السهل، والهلع الهادئ والخافت.

لم يعد في مقدورنا أن نتأرجح بين مدح نسقنا وتحقيره بصفة تبسيطية: فحين تكون نية القطيعة كما لدى التيار المعادي للرأسمالية يتوجب إظهار الاستمرارية، وحين يكون تعظيم الوضع القائم، يتعين التنبيه إلى النقائص، وإلى انتهاك المثال الذي ندعيه.

إن للوعي السليم وجهين: وجه الاطمئنان والرضا عن النفس، ووجه التمرد الذي تختزنه الشتيمة ميكانيكياً قبل أن ينتهي إلى أن يصبح مورداً للإدانة.

يتعين علينا في حكمنا على العصر أن نكون مدافعين عن تقليد مزدوج: نصنع الانفصال كما نصنع الالتئام، ولا نضع أبداً حداً لهذا التنافر. يمكننا بحركة واحدة أن نعبر عن إعجابنا بالحداثة الرأسمالية وعن خيبة أملنا فيها، وأن نعتبر الموافقة مشروعة وكذا الخيانة مشروعة.

فلا بد من الاحتفاظ بما يشبه الامتنان إزاء القيم التي نهاجمها حتى لو وصلنا في الهجوم عليها حد خرقها وتدنيسها، ولا بد من الاحتفاظ بيقظة نقدية ولو كنا في أقصى درجات التلذذ.

وما دمنا مطالبين باعتماد موقف متناقض، فإن علينا أن نعتمد مسلك انتساب حذر، على مسافة واحدة من العدمية الانتحارية ومن تقديس الذات.

فقد تجرنا أمور مثل جشع بعضهم وفقر الآخر، وتباين المصالح وعدم اهتمام الأقوياء بمآسي المستضعفين إلى التنديد حيث نريد التقريظ، بيد أننا لا يمكن أن نتخذ هذه التخوفات المشروعة ذريعة للتقوقع على الانهزامية الطائشة، ولمحاباة اللعن والشتم. إننا لا نفتأ نتردد ما بين التحفظ والجذل: يجب أن نحول هذا الاضطراب إلى مبدأ مفيد.

فحالنا السيئ، إن لم يتحسن، يحتوي في كل لحظة فرصة تبصر.

"إذا كانت جسارة أعمالك تخفي على فظاعتها، فإنني مع ذلك في حيرة دائمة، إما لكون عيوبك تشلني من الرعب، أو لكون فضائلك تحركني من الإعجاب " (ديدرو، الحديث حول رنيال، 1781).

ها هو مأزق الدول الديمقراطية: تبدو أقل انضباطاً وأقل عدالة من الدول الأخرى، تلاحقها الجريمة والعزلة والفساد، في حين تبدو المجتمعات القمعية منسجمة بصمتها.

ذلك أن مجتمعاتنا مريضة دون شك، ولكن قوتها تكمن في وعيها بمرضها وبإقرارها بذلك، وبالكشف عن عيوبها في الملأ وبجلدها لنفسها دون توقف.

إن هذه الحالة تحميها، وتحفظها من الخطأ الحقيقي الذي هو جهل العلة.

وبعبارة أخرى، إن البربرية هي توهم السمة الحضارية مع نبذ الآخرين إلى العدم.

أن نكون متحضرين، معناه إدراك كوننا متوحشين، ومعرفة هشاشة الحواجز التي تفصلنا عن خزينا، وإدراك أن نفس العالم يحمل في طياته إمكانية الفظاعة والسمو.

الهوامش

1) راجع حول الأوهام التي أنجزت عن انهيار الاتحاد السوفياتي، والنصر الذي أرهقنا بتكلفته الباهظة ووضع على أكتافنا عبئاً ثقيلا كتابي:

La mélancolie Démocratique Seuil 1990

2) André Fourçan "La mondialisation est favorable au developpement" (le monde 4/09/01).

ويذكر المؤلف نفسه في كتابه "la mondialisation expliquée à ma fille (seuil 2001, pp202,203) إن نسبة الفقر الشاملة قد انخفضت حسب البنك الدولي بتسعة نقاط خلال العشرين سنة الأخيرة، وقد وضع البنك ذاته لنفسه أهدافاً طموحة في أفق 2015 هي: تقليص نسبة الفقر الشديد بالنصف، الحد من وفيات الأطفال بنسبة الثلثين، والحد من وفيات الأمهات بنسبة ثلاثة أرباع، وضمان تمتع الأطفال بتكوين مدرسي عادي.

3) حسب تقرير أجراه صندوق الأمم المتحدة السكان، كما أورده جرمي رفكين: "L'âge de l'acces: La découverte 2000, p. 298.

4) Raymon Aron: les Désillusions du Progrés Calmann-Levy 1969 pp 366-367.

5) Daniel Cohen: Richesse du Monde, Pauvreté des nations: champs, Flammarion 1997 p:67.

6) James Kenneth Galbraith: "Greated unequal" The crisis in American Pay, The Free Press, New York 1988, in René Passet, l'illusion néolibérale, Fayard 2000, pp 126-127

7) طرفة يوردها فيليب لابارد وبرنارد ماري في كتابهما:

La bourse ou la vie, Albin Michel, 2000, p.122

8) يرى جان بول فيتوسي"أن الطبقة الوسطى تمزقت من جراء الأثر المضاعف لصعود أقلية منها إلى الطبقة العليا وتدحرج نسبة أكبر كبيراً إلى الأسفل" (لموند 2001/3/30).

ويلاحظ دانيال كوهن أن راتب رئيس مجلس إدارة مؤسسة في القمة قد انتقل في أمريكا من عام 1970 إلى عام 1990 من 30 إلى 150 مرة راتب عامل (مرجع سبق ذكره ص 67). دائماً في الولايات المتحدة، على الرغم من طفرة التسعينيات لم تكد تزدد الدخول الوسطى وغنم 10٪ من أكابر الأغنياء 85٪ من أرباح البورصة. أما التعويضات الاجتماعية التي يتلقاها الأشخاص الأقل

دخلاً فقد انخفضت بوتيرة أكثر سرعة من المجموعات الأخرى، خصوصاً فيما يتعلق بالتعويض الصحي.

Robert Reich: Futur parfait village mondial Paris 2001 (pp115-116)

9) يقدم اريك ازالويتش وصفاً دقيقاً واضحاً لحكومة الشركة في كتابه:

Le capitalisme Zinzin Grasset 1999 pp 210-S99

10) ذلك ما يشرحه روبير ريتش وزير العدل السابق في عهد كلينتون. مرجع سبق ذكره ص 153-154-155.

11) Courrier international, Supplément octobre 2000 n 59

12) كتبت ايرا كاي في "وول ستريت جورنال" إن رؤساء الشركات الأمريكية بحاجة إلى أن تدفع لهم معاشات باهظة لتشجيعهم على التخلص من عمالهم.

فحسب المركزية النقابية: AFL CIO حصل رؤساء 30 شركة الأكثر إعلاناً لطرد العمال على مكافآت وتعويضات زادت رواتبهم على المدى الطويل ب 67.3٪) (ذكره ناعومي كلين n logo, actes sud 2001 pp 306-307 في كندا حصل رؤساء الشركات الكبرى عام 2000 على زيادة في الدخل من راتب خام وعلاوات ومكافآت تصل إلى 42.9٪. وعندما قرر جون

شاميزر رئيس الشركة التكنولوجية العملاقة جيسكو في مرحلة صعبة تخفيض راتبه بدولار رمزي، كان ذلك بعد أن حصل على 150 مليون دولار من الأسهم المنخفضة (بيار جوليان - لموند 27-2000/5/28). فلم نعد هنا في منطق رأسمالي كلاسيكي ولكن في ثقافة مصادرة تغيظ بعض أوساط الأعمال والكثير من صغار أرباب العمل.

13) "إن الإدارة المعاصرة للشركات الكبرى تهدف أساساً كما ينص كل مذهب اقتصادي إلى مضاعفة المردود. ولكنها (....) قررت تحويل المبدأ القديم إلى مبدأ مضاعفة فوائدها الخاصة. ومع تساهل مجالس الإدارة، بإمكانها أن تحدد مكافأتها الخاصة وأن تقتني الأسهم التي تريد وتهيئ رحيلها عن المؤسسة بكل الامتيازات وتعويضات التعاقد كما يحلو لها."

Meilleure John Kenneth Galbraith: Pour une Société Seuil 1997 pp 72-73

الطبعة الأمريكية بوسطن 1996

14) إن السود الأمريكان مع أنهم من أغنى شعوب العالم الثالث لهم معدل حياة أقل من معدل حياة الصينيين والسيرلنكيين وسكان كيرالا وهي إحد مناطق جنوب الهند الأكثر فقراً، كما يوضح آمرتيا سن. ولئن كانت الفوارق أكثر حدة في الولايات المتحدة منها في أوروبا، إلا أننا ننسى أنه في العالم القديم

حيث تصل نسبة البطالة إلى 10٪، فان العاطلين عن العمل حتى ولو عوضوا تعويضاً مقبولاً، فإنهم يتعرضون لأصناف من الغبن النفسي والاجتماعي، لا تعبر عنها الإحصاءات

Amartya Sen: Un nouveau modèle économique, Odile Jacob 2000

15) لنتذكر بأن الثروة القومية زادت في فرنسا من سنة 1997 إلى 2000 بنسبة 15٪ تقريبا، أي بمقدار 240 مليار يورو، كما استحدثت مليون ونصف فرصة عمل (أرقام مكتب برسي) وقد تراجع بعد ذلك الاتجاه.

16) Daniel Cohn: Nos temps modernes chap 1 Flammari-on 2000 pp 45 Sqq

17) ربما الأسباب تعود للتراث الأخلاقي البروتستانتي أو لتحبيذ القيم المادية، يشتغل الأمريكيون 350 ساعة أكثر من الأوروبيين، وأكثر الناس قلقاً في هذا المجال هم الأكثر ثراء، فهم يضاعفون من جهودهم للحفاظ على مداخيلهم.

Robert Reith: Futur parfait, opus cité pp 126 et 24

18) إن مقولة "العولمة" هي عبارة مستحدثة، تتأرجح بين دلالتي العالمية والكونية، فهي كمقولة "الافتراضي"، كلمة لم يستقر بعد معناها، بحيث يمكن أن نحملها المعنى الذي نريد، فهي قابلة لكل التأويلات.

● نظرية اقتصادية تقول بأن أجر العامل لا يمكن قط أن يتجاوز الحد الحيوي الأدنى (المترجم).

19) يرى إيلي كوهين أن العالم ليس أكثر انفتاحاً مما كان عليه عشية الحرب العالمية الأولى: "لم يصل مستوى تصدير الرساميل عام 1991 المستوى الذي كان عليه عام 1915". أما الشركات المتعددة الجنسيات فلا يزال يغلب عليها الطابع القومي. فعدد الشركات العالمية يعد على أصابع اليد.

Elie Cohen: Mondialisation et souveraineté, Le Débat, n° 97 Novembre-Décembre 1997. PP 24-25-26-27.

20) Jean-Pierre Dupuy: Le Sacrifice et l'envie, Calmann-Levy, 1992, p 21

21) يبين ليستر ثرو، الاقتصادي في MIT أن 90 ٪ من مداخيل البورصة في الولايات المتحدة قد استولى عليها 10 ٪ بالكاد من المؤسسات الكثر رفاهية، في حين لم يستفد 60 ٪ من الأمريكيين من ارتفاع الأسواق باعتبارهم لا يملكون أسهماً.
J. Rifkin: opus cité p 5622)

22) توصي مؤسسة تاليس (تومبسون سابقاً) برفع الكلفة في المخاطبة بين مجموعات موظفيها، مازجة بين العلاقات الشخصية وعلاقات السلم الوظيفية، جاعلة من المسؤولين الساميين أصدقاء زائفين لمرؤوسيهم. يذكر هذا بالتقليد

الأمريكي المتمثل في مناداة كل إنسان باسمه الشخصي الأول، ومن ثم توليد وهم العلاقات الحميمة المباشرة التي سيصححها عدم الاكتراث من بعد.

23) لقد أصبحت الرأسمالية غير شعبية، كما أكدت صحيفة "بيزنيس ويك"، يرى 72 ٪ من الأمريكيين أن سلطة الشركات التي تجاوزت الحد غدت تشكل خطراً عليهم، ويرى 95 ٪ أن مضاعفة الأرباح لصالح المساهمين أمر خطير على المدى الطويل على الأمة بكاملها (أورده فافيلا في 2000/9/14 Les Echos).

وينظر للعولمة في ناحيتي الأطلس بصفتها ظاهرة تعمل لصالح نخب السلطة التقنية وليس الشعوب.

فالنظام الاقتصادي "أصبح مهدداً من جديد بصراع مصالح، بدرجة أقصى عنفا. ويمكن أن نذهب إلى حد القول بأن منطق السوق الدولة كما يمارس حالياً، يحكم علينا بصراع مصالح الرأسمال ومصالح الشغل". هذه السطور ليست ليساري حالم، بل هي لجان ماري مسياي. J6.com, Livre de Poche 2000, p153

24) Recherches, Revue de Mauss

(حركة مناهضة للنزعة النفعية في العلوم الاجتماعية)

N 9, premier semestre 1997

25) لم يحدث يوماً أن كان مجموع البشر مهددون في بقائهم"
Viviane Forrester: l'Horreur économique, Fayard, 1995
p. 164

26) كتب دجور مستحضراً روح حنة أرنت وكتابها المشهور حول محاكمة أريتشمان "بعبارة تهوين من الشر، لا نعني فقط الحد من استنكار الظلم والأذى، ولكن نعني أبعد من ذلك المسار الذي يهون من جهة من شأن الضرر (...) ومن جهة أخرى يعبئ تدريجياً عدداً متزايداً من البشر لصالح عمل الشر ويجعل منهم متواطئين". Souffrance en France Seuil 1997 p 196-197

27) حسبما ذكر جان فرانسوا روفلLa grande Parade, Essai sur La survie de l'Utopie Socialiste Plon 2000, p 353

28) Frederic Beigbeder, 99 Francs, Grasset 2000 والمؤلف نفسه خبير في الترويج، يبدي هزلا وقدرة على الاستهزاء لا يتمتع بهما المعقبون عليه، الذين يشبهون في الجدية المفوضين السياسيين.

29) كان بإمكان كتاب كلاب الحارسة الجـــــدد (Serge Hali-mi: Raisons d'agir 1997) الذي كتب بقريحة وموهبة أن يكون رصداً مدمراً لعيوبنا الاجتماعية (على طريقة لا بروبير)، بتسليط الضوء على هؤلاء السادة والسيدات المنحدرين من عالم الصحافة والأدب والفنون الذين يتهافتون على التلفزة لإبلاغ

رسائلهم، بيد أن المؤلف الناقم خلص دون أن يخشى الاستهزاء إلى إنهاء مصنفه الهجائي بأنشودة الأشياع، وذكر المقاومة الفرنسية ضد النازية أين ستختبئ الحاجة إلى التميز؟ صحيح أننا لا نجد سوى أصناف المقاومة التي نستحقها عندما يكون الخطر تافهاً، يتعين التفاخر والتشدق.

30) راجع في هذا الخصوص تأملات جان كلود ميشاي الممتازة في Recherches, Revue du Mauss, Opus cité pp 193 à 203

31) أحصيت في خريف 2000 بفرنسا 116 حالة اعتداء ضد اليهود، من بينها العديد من أحداث حرق المعابد، في مرحلة كانت تتردى الأوضاع في الشرق الأوسط. وفي هذا المضمار، اعتمدت المنظمات المناهضة للعنصرية والقادة الروحيون في كل مجموعة مسلكاً مثالياً لنزع فتيل الانفجار ولم يوفقوا في ذلك.

32) Transversales, Science/culture n 35 (1995)

كتب باتريك فيفرت: "نحن أمام أمراض نفسية جماعية، يتشكل أحد وجهيها من الحرب الاقتصادية، ويتشكل الآخر من الأصولية والتطهير العرقي. الوجه الأول يؤدي إلى التطهير الاجتماعي: الاقتصاد يؤدي إلى عودة البؤس ويطرد الشحاذين من جديد من المدن. والوجه الآخر يؤدي إلى حروب دين جديدة وإلى الإرهاب وإلى التطهير العرقي".

ذكره رانيه باسيه

33) René Passet, l'Illusion néolibérale opus cité, p160.

هكذا يدعي المخرج السينمائي فيليب دياز في برنامج وثائقي بعنوان "النظام الدولي الجديد" إنه يقول الحقيقة في مقابل "التزييف الإعلامي الرسمي". فحسب رأيه، فإن المسؤولين الحقيقيين عن هذا النزاع هم القوى الغربية وفي مقدمتهم بريطانيا والولايات المتحدة لأسباب تتعدى الجشع والتعطش للماس، في الوقت الذي ينظر لمتمردي الجبهة الثورية المتحدة الذين ينشرون الموت والرعب في السكان بقطع أيدي وسيقان ضحاياهم بصفتهم أولاداً طيبين يشوهون بفظاعة منذ أمد بعيد لم يصل إلى الهذيان العالم الثالث إلى التعبير بمثل هذا الوضوح.

34) Pierre Bourrdieu: Contre-feux 2 raisons d'agir, 2001, p 69

35) IGNACIO Ramonet : Propagandes silencieuses Gallée 2001

36) Opus Cité pp 103-121

37) في عام 1973 اعتقد المدعو ب."كاي" أنه رأى في رسائل خليعة مخفية في مكيفات زجاجية دعوة للتهتك! وفي عام 1990 أطلق Vodka Absolut حملة مثيرة: كأس فودكا على زجاجة بحيث يبدو منقوشاً بوضوح على الزجاجة عبارة "Absolut".

Naomi Klein: Opus Cité pp359-360

38) Chirstophe Aguiton, Rebonds - Libération, 24/9/2001

39) Serge Latouche: Recherches Revue de Mauss, 1997 Opus Cité pp 144-147 . Le procès de la Mondialisation, Fayard, 2001 p. 9

40) René Passet: Eloge du mondialisme, Fayard, 2001 p. 159

41) يعزى لميشيل كامدسيس القول في الأسبوع الذي سبق استقالته من منصب المدير العام لصندوق النقد الدولي أن "صندوق النقد يشكل أحد عناصر بناء مملكة الرب ". ذكره كريستوف آغيتون في Le Monde nous appartient, Plon, 2001, p. 225

42) Pierre Bourdieu: Contre-feux 2, Opus Cité, p. 89

43) Gilles Châtelet: vivre et Penser comme les Porcs, Folio, Gallimard, 2001, pp 20 et 31

44) Le Monde Diplomatique, Manières de voir, Sociétés sous contrôle, Mars - Avril, 2001

45) Jean Baudrillard: L'esprit du terrorisme le Monde 2/11/2001

46) Jacques Garello, Philippe Saint-Marc: Une économie Barbare Krisis 18/11/2000

47) Jacques Garello, La nouvelle Lettre n 666, Avril 2001

48) Idem, La nouvelle Lettre n 666, Avril 2001

49) Alain Gerard Salama: l'Angelisme Exterminateur Grasset 1993.

50) Pascal SalinÅ: Libéralisme Odile Jacob, Avril 2000

51) عندما تصير الوضعية محتكرة إلى هذا الحد من القوة العالمية، عندما نكون أمام تكثيف هائل لكل الوظائف عن طريق الماكينة التكنوقراطية والفكر الأحادي، فما هو السبيل عندئذ سوى تحويل إرهابي للوضع ؟ فالنسق ذاته هو الذي أنشأ الشروط الموضوعية لهذا القلب الحاد، فبالتقاطه كل الأوراق لنفسه يفرض الآخر على تقييد قواعد اللعبة".

Jean Baudrillard: l'Esprit du terrorisme le Monde 2/11/2001

52) Regis Debray: Lettre d'un voyageur au président de la république" Le Monde 13/5/1999

53) Regis Debray: l'Europe Somnambule - Le Monde 1/4/1999

54) Ibid

55) Ignacio RamonetÅ: Propagandes silencieuses, Opus Cité, pp.14,15,16

56) المرجع نفسه ص. 15

57) ورد الاستشهاد في Nicolas Barvez: USA: La tentation de la démesure, Le Monde, 26/06/2001

58) إن الولايات المتحدة هي أيضاً دولة رفاه، مختلفة عن دولتنا، وهي تحت الرقابة السامية للطبقات المتوسطة والعليا التي لا تقيم شأناً للمحرومين، خصوصاً إذا كانوا يحصلون على إعانات دون شغل. ومن هنا النزوع إلى استبدال الرفاهية Welfare بـ Workfare أي إلزامية الحصول على شغل لتلقي المساعدة. ولكن لا نجد شيئاً مماثلاً لضماننا الاجتماعي، ففي عام 2001 استفاد 5.18 مليون شخص من قسيمة غذاء، وقد اقترح الرئيس بوش عام 2002 تعميم هذا الإجراء على كل المهاجرين من غير المواطنين New York Times 10/1/2002.

59) Jean-Claude Guillebaud: La Refondation du monde, Seuil, 1998, p.141

60) A.G.A. VALLADO: Le XXI siècle sera américain, La Découverte, 1993, p.87

61) في عام 1996 أراد العالم السياسي صامويل هانتغتون الحد من غرور بلاده وتذكيرها بالمسافة القصيرة التي تفصل

الكابيتول عن الصخرة التربينية، فبين بالاستناد إلى الأرقام أن نصيب الإنجليزية في ركب اللغات الحية لم يفتأ ينخفض، فانتقل من 9.8 ٪ عام 1958 إلى 7.6٪ عام 1992 لصالح العربية والإسبانية والأنواع المختلفة من الصينية The Clash of civilizations, حول هذا الكتاب أحيل لدراستي Simon and Schuster, New York, 1996, p111

في مجلة اسبري:

Samuel Huntington ou le retour de la fatalité de l'Histoire, Novembre 1997

62) ذهب المعلق الصحافي المحافظ تشارلز كروثامر إلى المطالبة بالهيمنة الأمريكية الشاملة، وبين أن واشنطن على حق في مواقفها الانفرادية في مسائل الدفاع والبيئة، لأن روسيا لم تعد لها قيمة، والصين لا تستحق الاهتمام. واعتبر أن الإمبريالية السمحة التي تمارسها الولايات المتحدة في صالح العالم كله من حيث أمنه وديمقراطيته. وقد رد عليه وليام بفاف موضحاً أن أن مثل هذه الرؤية للأشياء مهددة بالاصطدام بحقائق عصية، وفي مقدمتها أن الأمريكيين ليست لهم رغبة في أن يصبحوا سادة للكون.

William Pfaff: Global Domination? Tell us conservatives it's been tried? International Herald Tribune, 16/06/09

63) David Landes : Richesses et Pauvreté des nations, p. 679, Albin Michel 2000

64) كيف أرد عندما أرى أنه في بعض الدول الإسلامية هناك كراهية شديدة لأمريكا؟ سأقول لكم جوابي: أنا مذهول، مذهول من وجود هذا القدر من سوء فهم بلادنا. فأنا... أنا مثل أغلب الأمريكيين غير قادر على الاقتناع بذلك. لأني أعرف كم نحن طيبون" الرئيس بوش في مؤتمر صحفي في 11 سبتمبر 2001.

65) "تخصص مجموعة الدول الأوروبية 1.8 ٪ من دخلها القومي للدفاع المشترك، في مقابل 3.6 ٪ بالنسبة للولايات المتحدة، كما أن إنفاق هذه الدول على التسلح تقلص بالفعل بنسبة 22 ٪ منذ عام 1990 على الرغم من كونها في خط التماس مع المناطق التي يتركز فيها عدد من مخاطر ما بعد الحرب الباردة: الإمبراطورية السوفياتية السابقة، دول البلقان، الشرق الأوسط، القارة الإفريقية وفي مقدمتها المغرب العربي. Nicolas Bave-rez: Le monde 28/05/01

66) Jean-François Revel: La grande Parade, Pocket, 2001, p. 74

67) لقراءة وصف جيد لهذا الإجراء لدى مؤلف يتبناه راجع:

Jean-Marc Salmon: Un monde à grande vitesse, Seuil, 2000, pp 190-198

68) Bernard Cassen: "Non, La mondialisation n'est pas heureuse", Le Monde, 24/08/01

69) Tout Sur Attac, Mille et une nuits, Mai 2000 p. 16

70) لاحظ رينيه باسيه أن ضريبة توبين المثلى قد تكون "تلك التي تفضي إلى القضاء على قاعدتها نفسها ويكون مردودها قليلاً" L'illusion néolibérale

71) Tous sur Attac, Opus Cité, p. 57

72) كما بين ذلك بدقة ميشال هينوشبرغ عند ذكره لعبارة جاك شيراك "إن المضاربة هي سيدة الاقتصاد" (هاليفاكس اجتماع مجموعة السبعة 1995/5/7)، رافضاً التمييز بين المقاول الجيد والمضارب الشرير، إذ كلاهما يصدر عن العقلية نفسها. La place du Marché Denoel, Novembre 2001, pp 232-599

73) لنتذكر أن صندوق الأمم المتحدة للإنماء طالب بوضع ضريبة على هجرة العقول، أي هجرى الكفاءات التي تتم من الدول الفقيرة إلى الدول الغنية (لكي تعوض مصاريف تكوينهم الدراسي لبلدانهم الأصلية). وقد اقترح آخرون فرض ضريبة على البورصة الأوروبية (آندريه غورون عضو مجلس التحليل الاقتصادي، لوموند 2001/10/2).

74) Pierre Manent: Les liberaux Pluriel, Hachette, 1986, pp. 20-21

75) إن الحل البديل (لاعتداءات 11 سبتمبر) هو في اتجاه الأممية الدنيوية الجديدة القائمة على مقاومة العولمة التجارية. إنها طريقة محدودة، وليس ثمة سبيل غيرها.

Daniel Ben Saïd, Willy Pelletier: "Dieu que ces guerres sont saintes", Le monde 22/11/2001

76) لاحظ ريمون آرون من قبل في كتابه "رفع أوهام التقدم"، 1969، ص. 23 أن اليسار يقوم إما "بمهمة زعزعة الوضع القائم وفي بعض الظروف استثارة ردة فعل عنيفة" أو "منح المؤسسة اللبرالية إرادة الإصلاح والتحفز للفعل".

77) Serge Halimi: Le monde diplomatique, avril 2001

78) لقد دمج البنك الدولي في آلياته التفكيرية أكثر من 70 منظمة غير حكومية تشارك في عمله. André Fourçans, Opus cité, pp 276-277

79) في نهاية المطاف إن العلاقة التي تربط طبقة معينة مع المجتمع بأكمله هي التي تحدد دور هذه الطبقة في المأساة، ونجاح هذه الطبقة محكوم باتساع وتنوع مصالح الطبقات الأخرى التي يمكن أن تخدمها.

La grande transformation, Gallimard, 1983, p.210: Karl Polanyi

80) عالج هنري دسروش هذه الظاهرة بإرجاعها لمنطق الخلاص المتطرف في Dieux d'Hommes, dictionnaire des milléna-rismes, Mouton, La Haye, 1969

81) Luc Bottansky, Eve Chiapello: Le nouvel esprit du capitalisme, Gallimard, 2000

82) Philippe Raynaud: Les nouvelles radicalités, le débat, mai-avril, 1999

83) Jean-Pierre Le goff, le monde 27/06/2000

84) لفهم إلى أي أحد يؤدي الحوار دون نهاية حول هذا الموضوع إلى أفق نظري مسدود، لنتأمل الاستخدام المتزايد لخطاب الخلاص الأخروي لدى مناصري العولمة ولدى أعدائها معاً.

فهذا توماس فريدامان الصحفي في نيويورك تايمز والمتغني بالعولمة المنتصرة يرى فيها "نور الفجر" في حين يصرخ أنجاسيو رامونيه في المهرجان الكبير الذي نظمته حركة آتاك في أوج مجدها يوم 19 يناير 2002 محرفاً عبارة جيرادو "ماذا نسمي هذه اللحظة التي أصبح فيها عالم آخر ممكناً؟ إن لها اسماً جميلاً أيها الرفاق، وهذا الاسم هو الفجر". ولنراهن على أنه ستثار قريباً عودة المسيح وظهور العذراء.

85) هناك جانب من الحقيقة في هذا الرأي: فذا سائق تاكسي إرلندي ميسور يعيش في ضاحية هادئة من ضواحي بلفست

بمنأى عن الصراعات الدينية يصرح مثلاً للصحافة خلال صيف 2001 "لا أنتمي لا إلى المجموعة الكاثولولية ولا إلى المجموعة البروتستانتية وإنما إلى المجموعة الاقتصادية " (لموند 01/08/14) كما أن المافيات الثلاث الصربية والكرواتية والبوسنية استمرت خلال حرب يوغسلافيا السابقة في جني أرباح طائلة من تجارة التهريب التي مارستها على حساب الجيوش والسكان المدنيين.

86) أورده ألبير هيرشمان Les passions et les intérêts PUF 1980 p. 56

87) Adam Smith: La richesse des nations, Garnier-Flammarion, 1991, Tome I, Livre I, Chap. 2, p. 82

88) ميلتون فريدمان: الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 1976، وزعيم مدرسة شيكاغو، والمدافع المستميت عن المذهب اللبرالي.

89) يشكك ليك فيري وآلان رنولت في وجاهة عبارة اللبرالية الجديدة، فحسب اعتقادهما توقف كل شيء عام 1848، ولم تضف عبارة حايك أي إضافة أساسية إلى نظريات دتكوفيل وكوستات، أي نقد تدخل الإدارة السياسية ونقد الحقوق الاجتماعية الاقتصادية.

لتوضيح كيف أن حايك قد تدحرج على الرغم من كل ما فعل

إلى التاريخانية والبنائية راجع Philosophie politique 1985 p.22, pp 139-155

90) لنقرأ الوصف الذي ورد في كتاب كارل بولاني الذي سبق ذكره (ص. 192-ص. 195)، لتبيان كيف تم الابتعاد بعد مرحلة الصفقة الجديدة New Deal عن مبادئ حرية تنقل الأموال وظهرت "رأسمالية عمالية" بديلة راجع Joseph Schumpeter Opus Cité pp 428-441

91) لو كان النظام الاقتصادي الفرنسي يتضمن فقط 10 ٪ من الليبرالية الحقيقية بدلاً من كونه تهيمن عليه بنسبة 95 ٪ الاشتراكية والجماعية والدولنة والحرفية والوطنية الرجعية لكان وضعنا بالتأكيد أحسن" Esprit libre, l'Harmattan, hiver 2001, p. 130

ها هو على سبيل التماثل المذهل ما يقدمه فيلسوف ماركسي: "إن الشيوعية لم يتم تجاوزها لسبب أساسي هو أنها لم تطبق لحد الآن في أي مكان. إنها ستأتي من بعد" Lucien Scève: Mort et transfiguration du communisme, Le Monde 20/04/2001

92) قال بوش في ميامي خلال حملته لصالح السوق الموحدة المشتركة بين الأمريكيتين: "إن الجيران الأقوياء يصدرون منتوجاتهم ويشترون منتوجاتنا، وينشئون الوظائف والإدارة الطيبة (ربيع 2001).

93) يلاحظ جوزيف ستغليتز الأمريكي الحائز على جائزة نوبل 2001 أن هذه الإمكانية لو كانت أعطيت للشركات المتعددة الجنسية لتوجب على الفقراء دفع أتاوات للمختبرات الغربية لكي يتسنى لهم استخدام الأدوية التي اخترعها أسلافهم.

94) Esprit Libre Opus Cité p. 65

95) Ibid p. 58

96) Raymond Aron: qu'es- ce que le libéralisme? Publication posthume Hiver 1998-1999n 84

97) في الرأسمالية الحقيقية لا يوجد فساد؛ لأن الشأن السياسي مفصول بدقة عن النظام الاقتصادي وليس ثمة تلوث، لأن المسؤولين عن التلوث يتوجب عليهم أن يصلحوا الاضرار التي تسببوا فيها. وليس ثمة بؤس لان الناس يتعلمون بطريقة عفوية كيف يحسنون أوضاعهم، وكيف يتقدمون في سلم دخولهم بفضل مبادرتهم وأهليتهم للعمل والتبادل". (ج. غارلو- مرجع سبق ذكره ص 67). وكما هو واضح فالرأسمالية بالنسبة لهذا المؤلف ليست سوى قطعة من الصليب الحقيقي.

98) Pierre Rosanvallon: La crise de l'Etat-Providence, Seuil, 1981, p. 47, pp. 99-100

99) كتب ريمون آرون بخصوص حايك: "إن لدى الليبراليين في بعض الأحيان نزوع إلى الاعتقاد مثل الماركسيين أن نظام

العالم يمكن أن يوفق بين الواقع ومطامحنا" ذكره روبير لازاد في: Liberté économique et progrès social, Septembre, 1999, p. 16

100) J 6. Con livre de poche 2000 pp.196-197

101) Gary Becker: 1997, Cité in procès de la mondialisation, Fayard, 2001, p. 20

حسب هذه المقاربة "كاملة الشمولية" و"والتجميعية الشاملة" ينظر إلى الحب، وهو الارتباط الإرادي بين رجل وامرأة، من حيث هو ارتباط بين شخصين "يطمحان إلى استغلال اختلافهما وتشابههما بمضاعفة موارد كل منهما إلى أقصى حد عن طريق عقد الزواج للحصول على رفاهية أعلى مما يمكن أن يحصل عليها أي واحد منهما بمفرده". (ورد الاستشهاد في René Passet: Eloge de la mondialisation, Opus Cité, pp 90-91) ومن البدهي، أن مثل هذه المقاربة ليس لديها إلا الشيء القليل لتقوله حول الحب، حتى ولو كانت تبين أن الأطفال هم نفقات محددة ودائمة، وبالأحرى متنامية...

102) "ضمن المنظور اللبرالي الحقيقي من الغلط ادعاء عزل بعض جوانب النشاط الإنساني لتسميتها أنشطة اقتصادية (...) فمن هذه الوجهة، ليس ثمة علم اقتصادي بالمعنى الدقيق للعبارة وإنما علم للنشاط الإنساني يدعوه بعض الاقتصاديين

النمساويين أحياناً براكسيولوجيا" Praxeologie, Pascal Salin, Libéralisme, Opus Cité, p. 40

103) يجب أن ندحض جذرياً النظرة الاقتصادية التي تصوغ فردياً كل شيء، الإنتاج مثل العدالة أو الصحة (...)." يجب أن نضع في مقابل هذا الصنف الضيق والقاصر من الاقتصاد اقتصاد سعادة من شأنه إعطاء الاعتبار لكل المزايا الفردية والجماعية، المادية والرمزية المقترنة بالفاعلية (مثل الأمن) كما تأخذ بعين الاعتبار كل التكاليف المادية والرمزية المرتبطة بانعدام النشاط وبالهشاشة. Pierre Bourdieu: contre-feux, Opus Cité, p. 46.

104) قدم روزنفالون تلخيصاً جيداً لهذه العلاقة في كتابه حول دولة الرفاهية (ص. 64 وما يليها). والأدبيات حول هذا الموضوع يمكن أن نشغل مكتبة كاملة. لنشر أيضاً إلى الكتاب الذي يدافع بأحسن أسلوب عن اختفاء الدولة. Robert Nozic: Anarchie, Etat et Utopie, PUF 1988

(الطبعة الأمريكية 1974)

105) "في عهد حكومة تاتشر، وعلى الرغم من التسيير الصارم لمخصصات الصحة، إلا أنها زادت بنسبة 3 ٪ Jean-Marc Salmon: Un monde à grande vitesse? Opus-Cité pp 104-105

106) لقد أصبحت اضطرابات المترو والقطار في بعض الشهور من

الانتظام المتكرر بحيث إنه في بعض الأيام التي تصبح فيها حركة البشر عادية تجد الإدارة نفسها ملزمة بإعلان ذلك وكأن الأمر حدث غير عادي.

107) "الحق أن الدولة كانت محرر الفرد. فالدولة بقدر ما ازدادت قوة حررت الفرد من المجموعات الخاصة والمحلية التي كانت تنزع إلى استيعابها من أسر ومدن وجماعات". Textes, Minuit 1975 Tome III, p. 171

لنضف إلى ذلك أن السلطة السياسية من أمراء وملوك هي التي أنشأت وحمت ووسعت الأسواق التي ازدهرت تحت رعاية الدولة وليس ضدها.

وقد بين ميشال هونوشبرغ كيف أن الدولة والسوق يسيران جنباً إلى جنب، يغتني بعضهما من الآخر ويحد بعضهما الآخر. راجع Michel Honochsberg: La place du Marché, Opus Cité pp 310-318

108) في أكتوبر 1981 أحالت المحكمة العليا في لندن "رايلتراك" Railtrac إلى الإدارة القضائية، مما يرمز لإخفاق خصخصة السكة الحديدية التي بدأت عام 1988. ولقد تم تحويل الشركة إلى تكتل، شركة خاصة دون غرض ربحي! أما الاقتصادي الأمريكي بول كروغمان فيحتج ضد الإفراط في الخصخصة الذي استولى على إدارة بوش الحريصة على فك كل القيود

التنظيمية من المدرسة إلى الضمان الاجتماعي، وقد دعا في تعليقه على محبطي النظام الإلكتروني في كاليفورنيا إلى وضع قواعد تنظيمية لعدد من الهياكل الأساسية جداً التي يمكن أن تترك ليد السوق الخفية.

Paul Krugman: They can't "Financialize" every-thing international, herald tribune 20/08/2001

109) في بداية القرن العشرين، كانت ميزانيات الدولة تمثل تقريباً 10٪ من الدخل الوطني وذلك لمجموع الدول الصناعية. وبعد مئة سنة، لم تعد أوروبا بعيدة عن نسبة 50٪ واليابان أكثر اعتدالاً في حدود 35 ٪. André Fouçans, pp 265-266

110) Stephen M. Pollan et Mark Levine, Quit today, Pay cash, don't Retire and More important Die Broke, Harper Business, New York, 1998.

(111) راجع Danièle Hervieu-Leger: La religion en miettes et la question des sectes. Calmann-Levy, 2001, p. 131

112) Le nouvel observateur - supplément Ile de France, 7/ 10/2000

113) أحيل هنا إلى كتاب ميشل لاكروا الممتاز: Le développement Personnel, Dominos, Flammarion, 2000 والكتاب يقدم في آن واحد صياغة وأداة نقد للموضوع.

114) كما ذكر: Dominique Meda: Qu'est-ce que la richesse? Champ, Flammarion; 1999, pp 131-132

115) Bernard Berret: La recherche économie, Mythe Libéral? Esprit novembre 2000, p. 22

116) بين نوحامي كلاين أن شبكات الموائد السريعة وشركات المعدات الرياضية وشركات الأجهزة الإلكترونية ترعى المدارس وتدعمها بشروط صارمة في الغالب، منمية عقلية "احتراف استهلاكي" لدى التلاميذ والطلاب. ففضلاً على أنه من الممنوع القدح في الماركات التي تساعدك- مثل التظاهر ضد التبغ إذا كان مصنع تبغ يساعدك- فإن المركبات الجامعية الأمريكية والكندية تحولت إلى مراكز تجارية. Noami Klein,No Logo, Actes Sud 2001 pp 123, 124 et 132, 133

ففي الولايات المتحدة تقدم شبكة تشانال وان الموجودة في 40 بالمئة من الثانويات والإعداديات تجهيزات تلفاز وفيديو بشرط بث دقيقتين من الإعلان كل عشر دقائق.

117) حول سؤال ما هي التلفزة رد بيات هيان ممثل البرتغال في شركة أندمول، منتج سلسلة الأخ الأكبر : Big brother إنها إنشاء مضمون، له من الجاذبية ما يسمح بجلب المتابعين للإعلانات المصورة في الوقت الفاصل بين الإعلانات المصورة. ليست التلفزة سوى هذا" Journal de Dimanche 4/11/2001

118) مثل نادي الكينغ التابع لبرجر كينغ الذي "يطور مجموعة مصالح بين زبنائه من الشباب". فأعضاؤه الذين يصل عددهم إلى أربعة ملايين يتمتعون بحق تسهيلات في الطعام وببعض الهدايا الإضافية. وينظم النادي أيضاً مركز مراسلات. وقد تضاعفت مبيعات برجر كينغ ثلاث مرات منذ 1990 الذي هو تاريخ إنشاء النادي الذي ينشط في 25 دولة.

Jeremy Rifkin, Opus Cité , p. 146

119) إن الحصول على أصدقاء أفضل شيء رائع. ولكن إذا كان أفضل أصدقائك يمارس وظيفة لبرالية، فعلى من يمكنك الاعتماد للتفكير معك حول أهم الأحداث المتعلقة بحياتك الخاصة والمهنية على الأخص؟ سيتحصل على الاثنين باختيارك مدرباً شخصياً: صديق ومدرب" (رابطة المدربين الشخصيين والمهنيين) Robert Reich, Opus Cité pp 204-205

120) Léo Strauss: Le libéralisme ancien et moderne PUF, 1990, p. 375

(صدرت الطبعة الأمريكية عام 1968)

121) Raymond Aron: Les désillusions du progrès, Opus Cité p. 337

122) كتب ميلتون فريدمان في الستينيات في كتابه الرأسمالية والحرية (منشورات جامعة شيكاغو 1963): "لم تكن إيطاليا

ولا إسبانيا الفاشيتين، ولا ألمانيا في مراحل عديدة من السنوات السبعين الأخيرة ولا اليابان قبل كل واحدة من الحربين العالميتين ولا روسيا قبل الحرب الأولى مجتمعات يمكن أن نطلق عليها صفة الحرية السياسية. ومع ذلك في كل واحدة من هذه الدول كانت حرية السوق هي الصيغة المهيمنة على النظام الاقتصادي. فمن الممكن إذن أن تقوم في آن واحد تدابير اقتصادية تكون أساساً رأسمالية وتدابير سياسية لا تكون حرة" فبالنسبة لفرديمان ليست الرأسمالية سوى شرط ضروري للحرية، ولكنها ليست شرطاً كافياً لها.

123) Adam Smith: La richesse des nations, Opus Cité, Tome I, Livre III, Chapitre IV, p. 514

124) SIR Dudley North: Discourses upon trade (Pierre Rosanvallon, Opus Cité, p. 43)

125) عندما سئل المكتب الاستشاري أرنست /يونغ في الموضوع خلال ذلك الاجتماع اقترح مجموعة من الاصطلاحات: "إن هذه الاصطلاحات لا يمكن أن تأتي إلا من الداخل. فما دام أرباب العمل لا مقاعد لهم في البرلمان، ومادام المنتخبون عاجزون عن فرض تصور حديث للاقتصاد على الإدارة وإفهام الاقتصاد الفرنسي أن فرنسا إذا أرادت أن تستمر في تصدير ربع إنتاجها لزمها نبذ تقوقعها على نفسها". بعبارة أخرى، عليكم أن تتساقوا لمنطقنا وإلا سنرحل.

126) حسب عبارة بيار ميسو الممتازة Le laboratoire italien - Le Monde 24/5/01

127) أوضحت وكالة شاس كلينبرغ بهذا الخصوص "لا يمكن لأي صورة، مهما كانت أهميتها، أن تحل لوحدها الإشكالات المرتبة عن ضبابية وغياب مشروع شيوعي حقيقي.

128) J6m.com, Opus Cité, p. 236

129) يقدم كريستان جامبيه تحليلاً طريفاً لهذه اليطوبيا في مجلة La revue des deux mondes، إبريل 2000. راجع أيضاً حول نقاط التشابه بين حايك والنزعة المسيانية الماركسية: Jean-Pierre Dupuy: Le sacrifice et l'envie, Opus Cité, pp 261-262

● تعني عبارة Poltach أحد طقوس الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، عبره يبرز الأغنياء ثرواتهم مع إظهار احتقارها. (ملاحظة من المترجم).

130) هاك منال واضح على الخلط بين الأشياء: كلفت السلطة الفيدرالية الأمريكية غداة 11 سبتمبر شارلوت بيرز المعروفة بـ"ملكة شارع ماديسون" بمهمة مساعدة وزير الخارجية للدبلوماسية العامة، من أجل الإسهام في إصلاح أمريكيا الجديدة في الخارج. وتنحصر كفاءات هذه السيدة فيما نالته من شهرة خلال حملاتها الإعلانية لترويج الأرز الأمريكي (انكل

بنز) وشامبون (لونغريز ابه بونيت). فما هو صالح في وصفات غسل الشعر سيكون بالضرورة صالحاً للولايات المتحدة.

131) لقد لاحظ جون مان كاين الذي كان أحد منافسي الرئيس جورج بوش خلال تتويج المرشحين الجمهوريين لرئاسيات نوفمبر 2000 أن السياسة الأمريكية "هي نسق قائم على الاتجار بالنفوذ بحيث يتفق الحزبان على البقاء في السلطة ببيع البلاد للغنى الأكثر سخاء" New York Times 1/7/1999.

132) كتبت صحيفة ولستريت جورنال (خريف 2001) في أوج الفترة الانتخابية متحدثة عن مطامح المواطنين الأمريكيين "إنهم يريدون حكومة يمكن أن تشعل وتطفأ بمجرد طقطقة".

133) Pierre Manent: Les libéraux, Opus Cité, 1986 pp 28-29

134) Avishai, La société Decente, Glimats, Montpellier, 1999, pp 145-155.

135) Le crépuscule du devoir, Essais, Gallimard, 1992, pp 252 à 288.

بخصوص الظاهرة، يقدم ليسفتسكي تحليلاً شديد الجلاء، دون أوهام أو حدة، لم ينقص شيئاً من قيمته.

136) في فرنسا تقوم وكالات ترقيم المؤسسات بحسب معايير تسيير المصادر البشرية، واحترام البيئة، والمساواة المهنية.

وفي أمريكا تكافأ عادة القطاعات التي لا علاقة لها بالتبغ والسلاح والجنس وتلك التي تحترم الأقليات. ولا تزيد مخصصات الصناديق الأخلاقية في فرنسا عن 1 ٪ من الاستثمارات في فرنسا في مقابل 10 ٪ في الولايات المتحدة (المصدر مجلة l'Expansion، عدد خاص، مايو 2001). ففي أمريكا يشكل مؤشر العملة النظيفة Good money مقياس الاستثمار الاجتماعي المسؤول. ويبدو أن لا فرق كبير بين قيمته وقيمة مؤشر داوجونس. فالأخلاق رابحة...

137) رمز متع الدنيا في العالم اليهودي - المسيحي.

138) "أرجو أن تدعم الهوية الثقافية لفيفندي ببعض الأنشطة التي تسمح أيضاً بـ "فعل الخير" فمصلحة الشركة ذاتها تتطلب أن تكون لها أخلاق" Jean-Marie Messier, Opus Cité, p 18 et p. 28

139) راجع حول حدود وغموض هذا النوع من الكفاح تجربة مناضلة مارسته، في كتاب Naomi Klein: n'Log, Opus Cité راجع على الأخص الفصل الأخير.

140) Benjamin Constant: De la liberté chez les modernes, 1814 Hachette Pluriel, p. 513

141) Robert D. Putman, Thad Williamson: Pourquoi les américains ne sont pas heureux? Le monde 2/11/2000

142) كما بين دانيال دياتكين في تعليقه على "نظرية المشاعر الخلقية، لآدم سميث في مقدمة كتابه Richesse des nations, Opus Cité pp 34 à 38.

143) على غرار ما دافع عنه بحجة ساطعة دومنيك مادا الذي طالب بتوسيع مفهوم الدخل القومي ليشمل معايير أخرى غير معايير الإنتاج وحدها مثل: التضامن الاجتماعي، درجة العنف، نوعية المرافق العمومية، توزيع الثروة. Dominique Meda: Qu'est ce que La Richesse? Opus Cité

144) حسب الأرقام التي يوردها المؤلف، 8 ٪ فقط من الأمريكيين مستعدون لتقليص العمل، راضين عند الاقتضاء بالتضحية بجزء من دخلهم، مقابل 38 ٪ من الألمان، و30 ٪ من اليابانيين و30 ٪ من البريطانيين. Futur Parfait, Opus Cité, p 12

145) ها هو بالضبط ما يبدو للإنسان ما قبل الرأسمالي بصفته أقصى درجات اللامعقولية والغموض والقذارة والحقارة، فإن يختار إنسان ما غايةً وهدفاً أوحد في الحياة -كفكرة- النزول إلى القبر المغطى بالذهب والثروات - أمر لا يفسر بالنسبة له إلا بنزوع منحرف auri sacra Fames

Max Weber: Ethique protestante et esprit du capitalisme, Opus Cité p 89

146) كما بين ماكس فيبير - المرجع نفسه ص 78.

147) "إن المبدأ الذي يحملنا على التوفير، هو الرغبة في تحسين وضعنا: وهي رغبة تكون في الغالب هادئة ودون أهواء لكنها تولد معنا ولا تغادرنا إلا في القبر".

Adam Smith, Tome I livre II, Chap. 3, Opus Cité, GF, p 4298

148) Suze Orman : The courage to be Rich, Greating a life of material and spiritual abondance, New York, Double-day 1999

149) يرى جرمي رفكين أن على ثقافة الشبكات أن تولد لدى الشباب "حالة ذهنية أقل حدة في التنافس من حالة الجيل السابق لهم الذين تستولي عليهم العقلية التجارية والملكية (المرجع نفسه ص 274 و 276). ويرى جان ماري مسياي في الإنترنت ثورة سياسية تقلب موازين المعارف التي كانت خاصة بنخبة معينة. (المرجع نفسه ص. 207-208-209).

150) يبين ميشل مارسيولا فيما وراء التنازع بين محبي التقنية وخصومها، إن كل إبداع تقني يشهد ثلاث لحظات: لحظة الاستيهام والهوس، لحظة التجريب، لحظة الابتذال.

Peut-on encore croire au progès? Dominique Bourg, Jean-Michel Besnier, PUF 2000, P.246.

151) تبين دراسة أمريكية، أن الإنترنت لم تغير إلا قليلاً حياتنا:

فتأثيرها الحقيقي يكمن في الفضاء العلائقي والجمعياتي الذي وسعته. فاستخدام الشبكات هو في الحقيقة مكمل للعالم الواقعي أكثر مما هو معوض له، وتنتقل حالياً 10 مليار رسالة إلكترونية يومياً في المعدل. أما التجارة الإلكترونية، فلا تزال في بدايتها، محدودة المردودية، باستثناء تجارة الجنس، التي هي دوماً تجارة رابحة (Libération 21/05/2001).

152) Dominique Lecourt: L'avenir du progrès: conversation avec Philippe Petit, textuel, 1997, p. 75

153) David Landes: Richesse et Pauvreté des Nations, Opus Cité, p. 22.